مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

اليمين الديني وحرب غزة

محمد مسجد جامعي

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

اليمين الديني وحرب غزة

محمد مسجد جامعي*

هذه المقالة هي خلاصة لكلمة الدكتور محمد مسجد جامعي في ندوة افتراضية لنادي العلوم السياسية التي عقدت بالتعاون مع مؤسسة "مرام" وجمعية العلوم السياسية في جامعة يزد، والتي عُقدت بتاريخ 20 ديسمبر/كانون الأول 2023 وتحت عنوان «اليمين الديني وحرب غزة».

في مستهل حديثي، لا بد أن أقدم جزيل شكري إلى الجهة المنظمة وهي نادي العلوم السياسية وجمعية العلوم السياسية في جامعة يزد، وإلى عريف الحفل السيد الدكتور دهقان دار.

يدور موضوع الكلام عن «اليمين الديني وحرب غزة»، وخاصة اليمين الإنجليكاني الأميركي خاصة. وسأحاول في هذه الكلمة الإشارة إلى أهم النقاط التي تخص الموضوع.

توجد حالياً ما لا يقل عن ثلاثة رموز لليمين الديني في العالم، وهي: الهندوس اليمينيون الذين يمسكون بزمام الأمور في الهند، واليهود الأرثوذكس والمتطرفين الأرثوذكس المتغلغلين بشدة في الحكومة والمجتمع الإسرائيلي حالياً، وأخيراً اليمين المسيحي، ونقصد به اليمين المسيحي الإنجيلي الذي يهيمن على المجتمع والسياسة الخارجية الأميركية. ورغم التشابه الموجود بين هذه الأصناف الثلاثة، إلا أننا سنتحدث عن المجموعة الثالثة في الفقرات القادمة:

1. حرب غزة: ليست مجرد صراع بين إسرائيل وحماس، إضافة إلى كونها برأي اليمين الأميركي هي أكثر الحروب دينية خلال العقود الأخيرة، فهم يعتبرونها وبصراحة بأنها حرب دينية. وفي هذا قال السناتور ليندسي غراهام، نجل القس الأنجليكاني الكبير بيل غراهام في الأيام الأولى للحرب «أننا أمام حرب دينية. أنني من أنصار إسرائيل". وأضاف مخاطباً إياها «انهضوا للدفاع عن أنفسكم، وقوموا بما يفرضه الواجب عليكم، وطهروا أرضكم."

* سفير ودبلوماسي ايراني سابق.

ولهذه الحرب ثلاثة عناصر أساسية هي:

أ- الفلسطينيون وحماس: جاءت عمليات حماس مفاجئة للإسرائيليين وللآخرين أيضاً، وفي ذلك دلالة على نضج الحركة الكمي والكيفي. وبغض النظر عن العمليات في أيامها الأولى، إلا أن إسرائيل وحلفاؤها عجزوا عن إطلاق سراح الأسرى رغم الجهود التي بذلوها، ورغم ما يتمتعون به من قدرات استخبارية، فقد استطاعت حماس من إخفاء هؤلاء الأسرى ما يدل على المستوى العالي للعملية التي نفذتها الحركة. وما يلفت النظر هنا أن الفلسطينيين لم يتحدثوا عن حماس بسوء، رغم الهجمات الجوية الوحشية المستمرة ضدهم. ولو حصل مثل هذا الشيء لكانت وسائل الإعلام الموالية لإسرائيل تطبل ليل نهار لذلك.

ب- إسرائيل: شهد اليهود المتطرفون في إسرائيل خلال السنوات الأخيرة نمواً مضطرداً، ومن الممكن جداً أن يستمر هذا النمو خلال الأعوام القادمة أيضاً، وهم يشعرون بالقوة مما دفعهم إلى اتخاذ منحى التطرف؛ فالقوة والسلطة تدفعان نحو التوسع والهيمنة خاصة إذا اعتمدت على الحس القومي والوطني والديني.

المسألة الأخرى هنا أن هذا الكيان قد تداخلت مع نسيج المنطقة، وتغلغلت في بلدان مثل الإمارات والبحرين والمغرب بحيث أصبحت هذه البلدان تتعطش لمثل هذا التغلغل أكثر من إسرائيل نفسها، لأنها تشعر بالحاجة إليها؛ كما أن السعودية على هذه الشاكلة إلى حد ما، رغم عدم وجود علاقات سياسية بين الجانبين. وهذه الحالة جعلت من الصعب بلورة إجماع عربياً ضد الاعتداءات الإسرائيلية.

ج – النظام الدولي: منذ مدة لا نجد أثراً للنظام الدولي الذي كان سائداً أيام الحرب الباردة وحتى ما بعدها. وما أثر في تفكيك ذلك النظام هو نمو الصين، وتراجع المكانة الدولية للولايات المتحدة، إضافة إلى الأزمة الأوكرانية، وظهور اقتصاديات جديدة، تؤدي بالتالي إلى ظهور سياسات مستقلة جديدة، ولهذا نرى أن كل قوة تحاول استغلال الأزمات الموجودة لتحقيق مكاسب لمصلحتها في الحاضر والمستقبل.

مثال ذلك أزمة أوكرانيا، فهذه الأزمة تتعدى كونها حرباً بين بلدين، فالمجموعة الغربية تسعى لإضعاف الصين من خلال إضعاف روسيا الذي هو بحد ذاته هدفاً غربياً. كما أن حرب غزة

تتناول جزءاً من هذا النوع من الصراعات، على رغم من أنها ليست بأهمية أوكرانيا حالياً، ولكن يمكن أن تتطور في المستقبل، وترقى إلى نفس الأهمية. أما الملاحظة الأخرى حول هذا الموضوع هنا هو فوضى العلاقات بين الدول، مع أهمية الفضاء الافتراضي في بلورة أفكار الرأي العام، فالذين يتعاطفون مع الفلسطينيين يخضعون بشدة لتأثير الصور والتقارير التي تنشر في الفضاء الافتراضي.

2. أشرت إلى أن النظام العالمي فقد عملياً، كونه نظاماً يستند إلى أسس منطقية، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على الواقع الفكري والثقافي المعاصر، حيث نواجه نوعاً من «التعويم» لهذا الواقع؛ ففي السابق لم يكن الأمر على هذه الشاكلة، حيث كان الاستدلال له مكانته، وليس اتباع الموجات الحاصلة. وقد زادت حدة هذه الحالة بعد الحرب الأوكرانية التي تركت تأثيرات كبيرة على مشاعر الأمم وأفكارهم في العالم الأول وخاصة في أوروبا. فهذه المشاعر المعادية لروسيا ولاسيما في الأشهر الأولى للحرب، والمناصرة لأوكرانيا، جاءت بشكل لا يمكن تصوره؛ مثال ذلك عمد الإيطاليون إلى إنزال لوحة صغيرة تشير إلى إقامة قصيرة للكاتب الروسي الشهير دوستويفسكي لا تتجاوز الشهور في مدينة مثل فلورنسا. أو كما قال رئيس وزراء المجر إن أوكرانيا هي أحد أكثر البلدان فساداً، ليس من الناحية الاقتصادية والمالية وحسب، وإنما في قضايا حقوق الإنسان أيضاً حسب معايير الاتحاد الأوروبي.

3. مفهوم اليمين: في الماضي وخلال فترة الحرب الباردة، كان لمصطلح اليمين مفهوم محدد؛ حيث كان يطلق على كل ما يعادي اليسار، وما هو مضاد للاتحاد السوفيتي، ومضاد للاشتراكية، وحتى الاشتراكية الأوروبية، وكل ما هو مضاد للتقدم، أما شكله المطلوب، فكان يتمثل بأميركا والغرب والاقتصاد الحر والليبرالية، فهو نوع من الليبرالية الجديدة، وكان لبعضه أهداف قومية تؤكد بشكل عام على الهوية الوطنية والثقافية.

أما في الحال الحاضر، فإن الأمر ليس كذلك، فقد بات اليمين يضم تحت عنوانه شريحة واسعة من الأفكار، ويعرف من خلال معارضاته. اليمين في الوقت الراهن هو ضد الإسلام وبشدة، وضد الهجرة، وضد الروس، وإلى جانب ذلك ضد حماس وفلسطين والعرب بشكل عام.

4. اليمين الإنجيلي "الإنجليكاني": تُعتبر المسيحية الإنجيلية ذات اتجاه يميني من بين الأقسام المسيحية المختلفة الموجودة في العصر الحاضر بسبب عقائدها الدينية. فهناك الكثير من المسيحيين من ذوي الميول اليمينية ومعظمهم في أوروبا حالياً، إلا أن هذه الميول ليست قائمة

على أسس دينية، أما الإنجيليون فهم كالهندوس واليهود المتطرفون تقوم أفكارهم اليمينية على ركائز وجذور دينية، وهذا ما سنوضح أسبابه فيما بعد.

5. المسيحية الإنجيلية ''الإنجليكانية'': هذه المسيحية في الأساس هي ظاهرة أميركية، نشأت في أميركا ونمت فيها. وقد انتشرت هذه المسيحية في القارات الأخرى بشكل واسع، لكنها تخضع لتأثير الإنجليكانية الأميركية. وسنشير إلى خصوصيات هذه المسيحية المهمة دون الخوض في تفاصيل هذه العقيدة.

يعتقد المؤمنون بهذه المسيحية بأهمية النصوص الدينية وتأثيرها المباشر على فهمهم للكتاب المقدس وخاصةً العهد العتيق بما هو منصوص عليه، أي أنهم أصوليون كما يقولون. مثال ذلك أنهم يعتقدون بأن عمر العالم أقل من ستة آلاف سنة، حسب ما جاء في التوراة؛ وهو ما صرح به مرة بوش الابن عندما كان رئيساً للجمهورية؛ وهم بذلك يشبهون أهل الحديث والسلفية والإخبارية عندنا هنا.

الخصوصية الأخرى التي يتصفون بها أنهم جبريون، ويؤمنون بما هو مقدر مكتوب، وهذه الخصوصية ترتبط بالخصوصية الأولى. فهم يعتقدون بأن الإرادة الإلهية، وليست الإرادة الإنسانية تحدد مصير ما هو حاصل. ومن المناسب هنا أن ننقل كلام القس والمعلم الديني لحكومة ترامب رولينغ بحضور نائب الرئيس مايك بنس ووزير الخارجية بومبيو. فقد كتب في موقعه على الإنترنت في ذروة أزمة وباء الكورونا ''إذا كان هذا الوباء هو بسبب غضب الرب، فإن الجهود والتضحيات التي تبذلها الجهات الطبية إنما هو إتلاف للوقف ولا فائدة منها».

قبح هذا الكلام أدى بنائب المتحدث باسم البيت الأبيض إلى التنديد به والقول إن ترامب لم يشارك في البرامج التعليمية الدينية لهذا القس، هذا في حين كان رولينغ من المدافعين بشدة عن ترامب.

والخصوصية الأخرى لهذه المجموعة هي اعتقادهم بـ «آخر الزمان»، ذلك أن هواجسهم تتركز على قضايا آخر الزمان وهبوط عيسى ومقدمات ذلك والنتائج التي تترتب على ذلك. فهم خاضعون بشدة لتأثير سفر دانيال وسفر أشعيا ومكاشفات يوحنا. وهم يعتقدون أن واجبهم هو خدمة اليهود استناداً على الكتاب المقدس وخاصة هذه الأسفار الثلاثة، بغض النظر عما إذا كان

هؤلاء القوم صالحين أم لا، فلا بد من خدمتهم لمجرد كونهم يهوداً.

والأهم من ذلك أنهم يرون بأن من ضرورات هبوط عيسى هو تجمع اليهود في فلسطين وبناء معبدهم للمرة الثالثة في القدس. بناءً على ما ذكرنا، فلا بد من القول بأن المسيحية الصهيونية ولدت بمراحل قبل اليهودية الصهيونية، وهي الأكثر إلحاحاً منها في تنفيذ مشاريع التطرف الإسرائيلية.

ولهذه الطائفة معتقدات غريبة نشير إلى بعض منها: منها أنها تعتقد بوقوع حروب وسفك دماء واضطرابات عامة قبل هبوط عيسى بسبع سنين، وأن الله سيأخذ المؤمنين الحقيقيين إلى السماء لكي لا يشهدوا مثل هذه الأوضاع المرعبة، بل إنها تقول بأن بعض المؤمنين الحقيقيين سيبعثون من قبورهم، ويصعدون إلى السماء. وتعتقد أن أعداد الذين سيصعدون إلى السماء تصل إلى 144 ألف شخص.

الملاحظة المهمة هنا أن اتباع هذه العقيدة هم من المؤمنين والمتحمسين بشدة والمعتقدين بالتنظيم؛ صحيح أن المسيحية هي ديانة تنظيمية بطبيعتها، لكن هذه الفئة تتبوأ القمة في هذا المضمار، والأهم من ذلك أن هذه الكنيسة هي في خدمة المصالح الأميركية على المستوى العالمي، ولها صلة وثيقة بالمحافظين والأثرياء واليهود الأميركيين.

6. في الختام، ولكي نقف على نمط تفكيرهم حيال إسرائيل، ننقل نص كلام فرانكلين غراهام الابن الأكبر لبيل غراهام في الاجتماع السنوي الثالث عشر للتضامن مع إسرائيل وبمشاركة السفير الإسرائيلي

”إنني أدعم إسرائيل! إنني أدعم إسرائيل لا؛ ليس لأنني أعبد شخصاً يهودياً – يقصد به عيسى المسيح، لأن المسيح واليهود يعتقدون أن عيسى المسيح كان يهودياً– بل بسبب ما قاله الكتاب المقدس حول إسرائيل ومستقبل إسرائيل. ففي السابق كان هنالك الكثير من الخبثاء والجهلاء يستغلون رواية اعتقال عيسى وصلبه، ويؤذون اليهود باسم عيسى المسيح؛ فقتلوا اليهود وأطلقوا عليهم اسم «قتلة المسيح»؛ لكن اليهود لم يقتلوا المسيح؛ كما أن الروم لم يقتلوه، بل نحن من فعل ذلك... نحن كلنا (وبسبب معاصينا) ثبتنا المسامير على صليبه. حضرة السفير! إننا نحب إسرائيل؛ أننا نحبكم، ونشكر الله على وجود بلدكم. أنني لا أستطيع التحدث نيابةً عن الإنجليكان؛ ولكنني أستطيع أعبر عن نفسي، وأقول بأنني سأدعم إسرائيل“.